

لماذا يقلُّ الإسلامُ من دَوْرِ المرأةِ في المجتمعِ، ولا يُساوي بينها وبين الرجلِ في الميراثِ؟

التاريخ : 24-08-2022 13:48:07

المصدر : مركز أصول

المؤلف : باحثو مركز أصول

نص السؤال

لماذا يقلُّ الإسلامُ من دَوْرِ المرأةِ في المجتمعِ، ولا يُساوي بينها وبين الرجلِ في الميراثِ؟

خاتمة الجواب

إن هذه المسألة من الأمور التي أثارها المستشرقون والمنصرون بُغية تشويه صورة الإسلام وانتقاصه؛ للتنفير منه على الأقل بين أنصارهم وبني جلدتهم □

غير أننا نُشيرُ ابتداءً إلى أن بعض المنصفين من الغربيين أشادوا بنظام الإرث في الإسلام؛ فمن ذلك قولُ (غوستاف لوبون): «نُعَدُّ مبادئ الموارث التي نصَّ عليها القرآنُ بالغة العدل والإنصاف، ويظهرُ من مقابَلتي بينها وبين الحقوقِ الفرنسيَّةِ والإنجليزيَّةِ: أن الشريعة الإسلامية منحت الزوجات - اللاتي يُزعمُ أن المسلمين لا يعاشروهنَّ بالمعروف - حقوقاً في الموارث، لا تجدُ مثلها في قوانيننا». وهذه الشبهة سيَتَّبِعُ مجالُ إيرادِ النقولِ والنصوصِ في تفنيدها؛ إذا كان مُثيرها نصرانياً؛ لكنثرة الشهاداتِ من الغربيين وغيرهم على جنابة الكنيسة على المرأة في قوانينهم في الميراث؛ مما لا يتَّسَعُ المقامُ لذكرها، غير أننا نقولُ: «مَن كان بيئته من زجاجٍ، فلا يُزِمُ الناسَ بالحجارة».

والجوابُ عن هذه الشبهة يحتاجُ إلى بيانِ أن مسألة الميراثِ لا تصحُّ دليلاً على تحقيرِ المرأةِ في الإسلام □

وبيانُ ذلك تفصيلاً من ثلاثة أوجه:

1- تقسيم الميراث في الشريعة الإسلامية يقومُ على أُسسٍ لا تتعلَّقُ بتحقيرِ المرأةِ، أو إنكارِ كيانها؛ ويُمكنُ إرجاعُ تلك الأُسسِ إلى

ثلاثة:

الأساس الأول: صلة الوارث بالموث:

فكلما اقتربت صلة القرابة من الموث، زاد نصيب الوارث، وكلما تناوت القرابة، قلَّ النصيب في الميراث؛ فابنة المتوفى - مثلاً - ترث نصيبًا أكبر من نصيب والد المتوفى □

الأساس الثاني: موقع الوارث من الحياة:

إذ إن الأجيال التي تستقبل الحياة ترث في الأغلب أكثر من الأجيال التي تستعدُّ للرحيل من الحياة؛ فالبنث ترث أكثر من الأب □
الأساس الثالث: ثقل الأعباء المالية التي تلزم بها الشريعة الوارث:

وهنا يرث الذكر ضعف ما ترث الأنثى التي لا تكلف بالإنفاق على الزوج، أو الأولاد، أو الآباء، أو القرابة العاجزة مادنيًا، وفي هذه الصورة يظهر أن التمييز لا تعلق له بطبيعة الجنس، وإنما هو مرتبط بطبيعة الإنفاق؛ وهذا ما سنوضحه في النقطة التالية:

2- المرأة في الشريعة الإسلامية مكفولة ماليًا من الذكور من أقاربها:

فمن يتحدث في أبواب التساوي بين المرأة والرجل في الميراث، يتحدث عنها مجردًا لها عن نظام الأموال المتوازي المكافئ في الدين؛ فتقسيم الإسلام للأموال إنما هو وفق نظام كامل، وليس حالة واحدة:

فهي إما أن تكون بنتًا: وجمهور العلماء يقولون بأن الأب ملزم بالإنفاق على بنته حتى تتزوج، فإن لم يكن موجودًا، فنفقها على الأخ، وهكذا تنتقل كفالته المالية بين الذكور، دون أن يؤخذ من مالها الخاص شيء □

وإما أن تكون زوجة: فنفقها على زوجها، وتشمل المأكل، والمشرب، والمسكن، والملبس، وهي واجبة عليه، وإن كانت ذات مال □

ولا يجوز أن تدفع مهرًا لنفسها أو لزوجها، ولو تكرّر زواجها من الرجال، ثيبًا كانت أم بكرًا □

ولو خطب المرأة رجلًا، وعقد عليها، وطلقها قبل أن يدخل بها -: يجب عليه أن ينفق عليها حتى تخرج من العدة؛ كيلا تبقى يومًا بلا نفقة، حتى لا يتقاذف المسؤولية الأب أو الزوج؛ فقد حسم الأمر من الله تعالى بنص القرآن:

{لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُفْتَرِ قَدْرَهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ}

[البقرة:236].

وإما أن تكون أمًا: فإنها لا تكلف بشيء من نفقة أبنائها، وإنما تكون نفقتهم على الأب، كما أن ابنتها يجب عليه أن ينفق عليها وعلى أبيه إن كان صحيحًا قادرًا، وكانت هي معسرة، وهي ذات ذمة مالية مستقلة، تنصرف فيما تحوزها من مال من مكاسبه الشرعية، بما أباخته لها الشريعة الإسلامية من تصرفات □

نعم؛ إن كثيرًا من الغرب قد حاولوا تربية النساء على الاستقلال، وتعليمهن طرق الكسب، وجعلوا للبنات رأيًا في اختيار الأزواج □

ولكنهم لم يخرجوا عن جعل المرأة تابعة للرجل، ولم يقدروا على جعل أكثر النساء مستقلات في معيشتهن، غنيات عن الرجال، بل يربون فتياتهم على ما يهواه فثيانهم □

والمرأة إذا تزوجت، سلبت كنيته واسمها إلى اسم زوجها؛ فهم لم يبلغوا شأؤ كثير من المسلمين في الحياة الاجتماعية؛ فللفتاة المخطوبة عند المسلمين مقام رفيع، ولربة البيت مكانة عالية، ولأم الأولاد المقام الأعلى □

3- ميراث الأنثى قد يفوق ميراث الذكر، وقد يساويه، وفي حالات أخرى: ترث الأنثى ولا يرث الذكر؛ وبهذا تتضح الصورة وتكتل:

صحيح أن ذلك ليس راجعًا إلى كونها أنثى، بل إلى كونها أقرب من الذكر في هذه الحالة، أو نحو ذلك؛ ولكن في هذا إشارة إلى أن كونها

أنثى ليس مانعًا من إعطائها ما تستحقه □

فهي إذا تساوت مع الرجل في جهة القرابة ودرجتها، ونحو ذلك، أخذ الرجل أكثر منها غالبًا؛ لأن للرجل ميزةً عليها، وهي تحمُّله النفقة، ونحو ذلك □

ولكن متى كانت لها ميزة ليست عند الرجل، أخذت أكثر منه في الميراث؛ سواءً كانت هذه الميزة نوع القرابة من الميت، أو درجته، أو غير ذلك؛ فإلّا أن التفضيل مرجعه إلى الميزة، لا لمجرد كونه ذكرًا، أو كونها أنثى:

فمن الحالات التي تترث فيها الأنثى أكثر من الذكر:

لو مات رجل عن زوجة، وبنات، وأم، وأختين لأب، وأخ شقيق، لو وجدنا أن للزوجة ثلاثة أسهم من أصل أربعة وعشرين سهمًا، وللأم أربعة، وللأخ الشقيق خمسة أسهم، وتُحجَب الأختان لأب بالبنات، ويكون لها هنا اثنا عشر سهمًا؛ فالبنات تترث في هذه المسألة أكثر من الأخ الشقيق.

وكذلك الأم: لو حلَّ محلَّ البنت بنت ابن وإن نزل، أو كان محلَّ الأخ الشقيق أب، أو أخ لأب، أو عم شقيق، أو عم لأب؛ فالبنوة مقدّمة على الأبوة والأخوة □

ولو ماتت امرأة عن زوج، وبنات، وأخت شقيقة، وأخت لأب، فإن للزوج سهمًا واحدًا من أصل أربعة أسهم، وللبنات سهمين، وللأخت الشقيقة سهمًا واحدًا، وأما الأخت لأب، فمحجوبة بالشقيقة؛ فالزوج هنا يرث نصف ما ترثه البنات.

وكذلك الأم: لو حلَّ محلَّ البنت: بنت ابن وإن نزل، أو أخت شقيقة، أو لأب، منفردات، ودون وجود فرع وارث مذكّر أو مؤنث، مع العم الشقيق أو لأب؛ فإنهن يرثن في مثل هذه الحالة أكثر من الزوج، وأكثر من العم.

ومن الحالات التي تستوي فيه الأنثى والذكر؛ فترث مثله:

- إذا ترك الميت بنتًا، وأبًا؛ فللبنت نصف التركة فرضًا، وللأب سدس التركة فرضًا، وباقي التركة تعصيبًا (أي: للبنت نصف التركة مثل الأب).

- وكذلك: إذا ترك الميت بنت ابن، وجدًا؛ فللبنت الابن نصف التركة فرضًا، وللجد سدس التركة فرضًا، والباقي تعصيبًا (أي: لبنت الابن نصف التركة مثل الجد).

ومن الحالات التي تترث فيها الأنثى، دون أن يرث الذكر:

لو مات شخص عن أم، وبناتين، وأختين لأب، وأخ لأب، فإن للأم سهمين من أصل ثمانية، ولكل واحدة من البناتين أربعة أسهم، ويبقى للأختين لأب سهمان، لكل منهما سهم، بينما يُحجَب الأخ لأب بالأخوات لأب؛ فجميع الإناث في هذه المسألة يرثن باستثناء الأخ لأب.

فما سُقناه من أمثلة يُثبِت بالدليل القاطع: أن شريعة الله في الميراث، لا تُحابي جنسًا على جنس، إنما هي اعتبارات في كل من الذكر والأنثى، يقتضي الحق والمنطق والعدل مراعاتها □

